

دراسة حول :
قضية كتاب « وطنيتي » للشيخ علي الغاياني . (1) (مزمع)

دكتور يواقيم رزق مرقص

[illegible]

تأليف الأستاذ: **الياس أفندي دياب** ١٩٢٤م

[illegible]

ولد في ٢٤ أكتوبر ١٨٨٤ في دمياط حيث تعلم القراءة والكتابة في كتاب القرية - حفظ الكثير من الشعر لحيه فيه ثم انتقل إلى جامع البحر بدمياط وكان تابعا للأمر الشريف ، لاستكمال دراسته وانتهى من دراسته فيه عام ١٩٠٦ ثم سافر إلى القاهرة في أبريل ١٩٠٧ ، ولحقا إلى جريدة الجوائب المصرية التي كان قد أنشأها خليل مطران ، حيث نشر أشعاره التي كان يكتبها ، ثم الحق في يولية ١٩٠٧ بقسم التحرير فيها ، وفي ١٩٠٨ عمل مصححا في جريدة اللواء ونشر فيها أشعاره التي جمعها في هذا الكتاب الذي عنوانه « بوطنيتي » .

على عبد الرشيد : سيرة وحياة على أليانتي ، القاهرة ١٩٨١ من ص ١١٩ - ١٢٠ .

وما أن انتهى النطق بالحكم الا وهاج الكثير من الحاضرين ، وفلنت أعصاب بعضهم فتفوه بألفاظ ضد هيئة المحكمة ، فكان نصيبه الحبس لمدة أربع وعشرين ساعة ، وخرج القوم فى شبه مظاهرة سياسية تسبب الاحتلال وأعوانه ، ممن كانوا سببا فى النيل من أصحاب الراى الجرى، (١) .

كان هذا هو الشق الأول من القضية ، أما الشق الثانى فقد تأجل السير فى اجراءاته : من ضبط وتحقيق ومحاكمة الى أن يتم القبض على المتهم فيه أو تعطيه ففهذه ، ذلك المتهم الذى وجد نفسه مكرها أمام مواطنيه بتسليم نفسه ، فقبض عليه وقدم للمحاكمة ، ليتم الصف الثانى من القضية الكبرى التى عرفت بقضية « وطنيتى » ويطلق رئيس الجلسة فى يوم ٢٢ يناير ١٩١١ بالحكم حضوريا بحبس محمد فريد رئيس الحزب الوطنى آنئذ ستة أشهر حبسا بسيطا (٢) .

ظنت السلطة أن هذه الأحكام هى استدال الستار على قضية شغلت الراى العام فترة طويلة ، كما أقضت مضجع السلطة فى مصر فترة أطول ، فكانت قضية وطنيتى من أشهر القضايا السياسية فى نهاية العقد الأول من هذا القرن ، فقد شهدت فريات كثيرة ، وكشفت الكثير من الإيدى : منها ما كان سيئا حاك هذه الفريات ، ومنها ما هو حسن استهدف المصلحة العامة ، مدافعة عن الحق بالحق .

وقد دارت هذه القضية بأشياء حولها كتابية بعنوان « وطنيتى » مؤلفه الشيخ عالى العاليتى فى شهر يونيه عام ١٩١٠ ، وكان عبارة عن عدة قصائد شعرية جملتها فيه لاكن قد نشرها فى قبل فى المصحف . وقد علم (١) البلاغ المصرى ٨ أغسطس ١٩١٠ . (٢) المولد ٣٣ يناير ١٩١١ .

١٩٠٧ (٤٦) ، ووصفها هو بأنها « مجموعة قصائد ومقالات في موضوعات متنوعة وأعراض سياسية مختلفة دعت إليها الحركة الوطنية في ذلك الحين » (٤٧) كما نشر بياناً في صدر الطبعة الأخيرة التي بين أيدينا عام ١٩٤٧ لخص فيها سيرة هذا الكتاب فقال فيه « ظهرت الطبعة الأولى من وطنيتي في الأسبوع الأخير من شهر يونية ١٩١١ ، وقد أقلم هذا الديوان دنيا الاجتلال واقهرتها ، ولم يكن يصدر حتى صوفيا وهاجر صاحبه سرا من مصر في ٦ يولية فحوكم غيايبا وحكم عليه في ٦ أغسطس بالحبس ستة كما حكم على المرحوم الشيخ عبد العزيز جاورش بالحبس ثلاثة أشهر ، لأنه كتب للديوان مقدمة قرظه فيها ، ولعل هذا السبب حوكم كذلك المرحوم محمد بك فريد بعد عودته من أوروبا وحكم عليه في ٢٢ يناير عام ١٩١١ بالحبس ستة أشهر ، وكان المؤلف قد يمم شطر الاستقالة حيث أقام خمسة شهور الاقليلا ثم سافر الى سويسرا ، وبقي في جنيف وعاء سبعة وعشرين عاما ما أسس في خلالها أسرته سنة ١٩١٢ وجريدة « منبر الشرق » أو « La Tribune d'Orient » سنة ١٩٢٢ (٥٠) .

٠ (٤٩) يضم الكتاب ٤٦ قصيدة منها ما هو وطني ومنها ما كثر غزلا ، منها ما كان حزبيا حول مصطفى كامل والحزب الوطني ثم محمد فريد ، شايخ الدولة العثمانية في بعضها « الدستور العثماني » وكان في بعضها غمز للخدو « وطني يتجاهي ربه » « على لسان الأمير » ومنها مكان فيه لكر ولحم للمؤيد كقصيدة الدستور وهي التي أثارته عليه الشيخ علي يوسف وكانت موضوع بلاغه للبوليس التي قامت عليها القضية موضوع هذه الدراسة ومنها ما كان فيه اصوله كثيرة على بعض الشخصيات والحركات السياسية كقصيدة اغتيال بطونى غالى « الحافض للظلم » « ودنجران » ، وقد تشرفت من قبل في الصحف في تلك الفترة كاللواء والعلم ومنها ما القى في محافل عامة .

(٥٠) وهي منشورة في كتاب « وطنيتي » طبعة ١٩٤٧ .

(٥١) صدر العدد الأول منها في ١١ فيفيلوم الأربعة الواقع ٥ فبراير ١٩٥٢ وظلت تصدر حتى إلى سنة عشر ، عاما غير كانت تضم في أول هذه السبعينيات القسم الفرنسي - صفحة عربية - كثيرة المتاعب كثيرة التوقعات « مرآة الغايات » أن يستغنى عنها ، وأكتفى بإصدارها باللغة الفرنسية ، وصدر آخر عدد منها في يوم الأربعاء ٢٦ مايو ١٩٣٧ .

وعاوده الحنين والرجاء فعاد الى وطنه المحبوب في ٢٨ يونية عام ١٩٣٧ ، وأعاد وطبع « وطنيتي » في ١١ فبراير عام ١٩٣٨ تحت اسم الحكومة وبصرها ، بعد أن سقط الحكم وتبدلت الأحوال .

وجاءت الحرب الماضية واستمرت نحو أربع سنوات لم يتخذ فيها أى إجراء ضد هذا الكتاب الذي يعتبر بحق سجلا تاريخيا للحركة الوطنية في فترة قصيرة من الزمان الحالى ، ولكن العليقة المأكرة الغادرة شعرت فجأة بأن فى نشره ورحى الحزب دائرة دعاية سيئة لها ، فمما كان من القلم السياسى المصرى الا أن أوقف بعض ضباطه فى هنباح السبت ١٧ يونية ١٩٤٣ الى المؤلف البحث عن وطنيتي عنده فلم يجدوها لديه ، وأخذوا تعهدا كتابيا عليه بالا يطمعها أو يوزعها ما دامت الحرب قائمة وبذلك تكون « وطنيتي » قد طبعت مرتين وصودرت أيضا مرتين !!

وها هى ذى الطبعة الثالثة أراد الله أن تظهر والسيلا من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال تطالب بالوجهة والحلاء ، ومن حسن الاتفاق أن يكون ظهورها كظهور الطبعة الثانية فى أيام ذكرى وفاة المغفور له مصطفى كامل باشا ، الذى فاض الديوان بآيات ذكره العظم المقيم .

أما الجزء الثانى من وطنيتي وهو « هجرتي » فلا يزال الأمل كبير فى جمعه وطبعه قريبا باذن الله . . . أنه نعم الحولى ونعم النصير . . .

وقد نشر فى الصفحة المقابلة حورة مصطفى كامل تشييعا لحزبه واعترافا بفضلله لأنه كان أحد تلامذته فى اللواء ، حتى أنه وقع اسمه فى نهاية مقدمة الكتاب تلخص عبارة « أخذ جنود الحزب الوطنى » .

بينما صدرت فى مصر فى أول عهد لها يوم ٦ مايو ١٩٣٨ بنفس الاسم وشعارها « للشرق الشرقيين » (جريدة مطوية مستقلة) . انضمت فى جنتيف عام ١٩٢٢ للدفاع عن حقوق الشرق الناهض باسم الكيان واسم شعبنا هفضل لا باسم اجزاب ولا زعماء . كل يزول وينقضى أما الحبى . فويديعة الأبناء للإنبياء . على الغايات

وهذا يدعونه الى عرض مقدمات الكتاب ، والتي كانت ضمن موضوعات اتهام كاتبيها ، فقد بدأت مقدمة محمد فريد وكانت بعنوان « تأثير الشعر في تربية الأمم » « .. الشعر من أفعال المؤثرات في إيقاظ الأمم من سباتها وبث روح الحياة فيها ، كما أنه من المشجعات على القتال ، وبث حب الأقدام والمخاطرة بالنفس في الحروب ، ولذلك نجد الإبحار الحماسية من قديم الزمان شائعة لدى العرب وغيرهم من الأمم المجيدة كالرومان واليونان وغيرهم » .

وليس من ينكر أن الأشوذة الفرنسية التي أنشأها الضابط الفرنسي « روجيه دي ليل » وسميت المرسلين كانت من أقوى أسباب انتصار فرنسا على ملوك أوربا الذين تألبوا لأحماد روح الحرية في مبدأ ظهورها ... لقد كان من نتيجة استبداد حكومة القرد سواء في الغرب أو الشرق أمانة الشعر الخفاسي ، وحمل الشعراء بالعطايا والمنح على وضع قصائد المدح البارود والأطراء الفارغ في الملوك والأمراء والوزراء ، وابتعادهم عن كل ما يربى النفوس ويغرس فيها حب الوطنية والاستقلال ..

تنبهت الأمم المغلوبة على أمرها فجعلت من أول مبادئها وضع القصائد الوطنية والأناشيد الحماسية باللغة الفصحى للمتعلمين وباللغة العامة لطبقات الزراع والصناع .. فكان ذلك من أكبر العوامل على بث روح الوطنية بين جميع الطبقات .. وقد لاحظت « وطنيتي » في طبيعة هذه النهضة الميمونة الرشيدة ..

فعلى حضرات الشعراء أن يقلعوا عن عادة وضع قصائد المديح في أيام معلومة وأن يستعملوا هذه الموهبة في خدمة الأمة .. »

أما كلمة الشيخ عبد العزيز جاويز فكانت بعنوان « الشعر والشاعر » تناول فيها أحاسيس الشعراء ، وقسم الشعر الى مصنوع ومطبوع ، وما الشعر الا مرآة يرى فيها آثار الانفعالات النفسية التي

تعبّر عن نفس واضعها ، وانتهى فى كلمته القصيرة الى قوله « .. ومن شاء أن يرى نموذجاً من الشعر جمع بين رقة الألفاظ وجزالة المعاني وألف بين احكام التأليف وصدق العبارة فليقرأ شيئاً من وطنيتى ، ومن شاء فليستأل عن آثارها تلك الهمم الناهضة ، والنفوس المتوقدة والعزائم الصادقة ، فإنها من غراسها وجميل ثمارها » ..

أما مقدمة المؤلف نفسه فهى طويلة ، تتناول فيها الشعر والشعراء ، وشعراء مصر بالذات ، وما حولهم من خطوب ، وعاب عليهم اقتتالهم على الشهرة ، تاركين الاقتتال من أجل مصر ، ثم يقرر أن ما ضمه الكتاب هو مجموعة ما نشره من عام ١٩٠٨ الى أوائل ١٩١٠ منتبها سير الحركة الوطنية ونشر معظمه فى اللواء والعلم ، ثم ذيل هذا الحديث الطويل بتاريخ نشيد المرسيليز وظروف ظهوره ونشره هو نفسه بالفرنسية والعربية ، بالإضافة الى الأنشودتن الفرنسيتين الوطنيتين ، الأولى « فرنسا » La France والثانية « الوطن » La Patrie باللغتين الفرنسية والعربية كذلك .

ظروف تجريم الكتاب :

ان ما تضمنه الكتاب لم يكن يحتل كل هذه الضجة والمحاكمات ، سيما وأنه كان قد نشر من قبل فى اللواء والعلم ، ووقع نظر العدو والصدى عليه ، ولم يتحرك أى من رجال السلطة باجراء من شأنه منع نشره أو مساءلة الصحف التى نشرته فى حينه ، ولكن هناك أسباباً وراء تجريم الكتاب فى عام ١٩١٠ :

أولاً : سوء العلاقات بين السلطة والشيخ عبد العزيز جاویش ، ومحاولة الايقاع به والزج به أكثر من مرة فى مجال المحاكمات ، يحكم عليه فى واحدة ويبرأ فى البقية ، وكان افلاته من قضية الوردانى وتبرئته فى قضية « نشر الأخبار الكاذبة » واهانة نظارة الحربية عام ١٩٠٨ بمثابة لطمة لسلطات الاحتلال ، وألحت حاجة السلطة الى مجابهة الصحافة

الوطنية مما ظهر من ثورة جوردانت في جريدة اللواء ١٩٠٨ عن « أن أفضل

وسيلة لمواجهة هذه الصعوبات هو تطبيق قانون المطبوعات » (٦) .

ثانياً : لانفتاح جوردانت فتحت أبواب الصحافة المصرية التي عرفت
سياسة الوفاق ، مما أدى إلى اتفاق السلطة المصرية (الخديو) مع
السلطة الفعلية (الاحتلال) لاتفاق مطلق على كل منهما مع الأخرى ، وانتهى
إلى كبت حرية الصحافة آنذاك ، فاعيد العمل بقانون الصحافة في مارس
١٩٠٩ بهدف ضرب الحركة الوطنية في صحتها (٧) .

ثالثاً : العداء القديم بين الحزب الوطني وصحيفة « بين الاحتلال ،
منذ مقالات مصطفى كامل إلى مقالات الشيخ جلاويش ، وكشف وجه
الاستعمار البريطاني في كل مكان ، كمقالة « عن سياسة السلطة البريطانية
التصنيفية في السودان في حادث الكلمين » (٨) .

رابعاً : بعد أن بدأنا نرى أن الصحافة المصرية أصبحت
وبشير أحمد شوقي في مذكراته ، أن البرلمان الإنجليزي أوصى وزير
الخارجية الإنجليزية بعدم التضييق على حرية الصحافة في مصر ، ولكن
حدث أن اضطرت الحكومة إلى الخروج عن هذا التحفظ :

أولاً : لأن جريدة اللواء نشرت فصلاً وطنياً مدحت فيها دنجرا
المهندي قاتل اللورد كيرزون في إنجلترا واعتبرت عمله عملاً طيباً خالداً
ودعت الشبان إلى التشبه به في وطنيته وعقلانيتها فرفضت مصر ولندن ،
الوطنية التي كان اللواء ومهرروه أهم قائلها المتطرفون .

ثانياً : لأن الشيخ جلاويش نشر في جريدة اللواء مقالا شديداً للهجة ،
طعن فيه في حق بطرس غالي باشا وفتحى زغلول باشا ومحمد يوسف
بك (٩) ، أما جريدة اللواء فقد تقرر انذارها بعد أخفا ورد بين مصر ولندن ،

(٦) Annual Report, 1908, pp 5.

(٧) ونان لب : اثر قانون المطبوعات في الحركة الوطنية المصرية قبل
الحرب العالمية الأولى ، المجلة التاريخية ١٩٦٦ ، ص ٢٦٢ .

(٨) اللواء ٢٨ مايو ١٩٠٨ مقالة بعنوان « دنشواى أخرى فى السوان » .

(٩) اللواء ٢٨ يونية ١٩٠٩ مقالة بعنوان ذكرى دنشواى .

حتى أن بطرس (غالى) لوح بالابتقالة إذا لم يتخذ هذه الجريدة (١٠) .
وقد تناول البان دى روجا فى صحيفته La Dépêche الرد على
افتراء الاحتلال على الشيخ جاويش واتهامه بالتمصب فكل «لبن» وضع
اسم الشيخ جاويش بجانب الضالقاتى لمن أيدع الطرق السياسية فى
تصوير التعصب الدينى تأثرا ضد الأجانب إلا أن الشيخ جاويش نزل
ذاع صيته حتى أصبح فى كل حادثة يصوره الوهم كأنه صورة خوافية
مزجة (١١) .

رابعاً : اختلاف علاقة الخديو بزعماء الحزب الوطنى الجديدة عنها
أيام مصطفى كامل ، فقد أثبتت استيمنة الموفق بين الخديو والمعتمد
البريطانى التى وضع الحزب الوطنى فى موقفه ليعتبر صعب إذ قد تأثر
عدد من أعضائه الذين انضموا اليه سعياء وراء مركز أو لقب كنتيجة لرضاء
الخديو عنهم فأصبح اختيار الحزب بين أن يظل على ولائه للخديو متخليا
عن ولائه للقضية الوطنية وأما العكس فيعلاى السلطة الشرعية تمسكا
بالقضية الوطنية ، وكان الأخير هو موضع الاختيار فقد الحزب مساندة
الخديو نهائيا وكسب عداؤه ، كما حدثت عدة اهتزازات داخل الحزب
نفسه وبدأت تشققات بين أصحاب المصالح والمعتدلين الذين وجدوا أن
مصلحتهم فى يد الخديوى (١٢) مما دفع الخديو أيضا إلى التمسك على
الحزب الوطنى واللواء معا ، فيروي أحمد شفيق كيف كان الخديو يكظم
غيطه من أعمال اللبواء والحزب الوطنى فى تطرفهما فى وصفه
« بالخيانة » (١٣) ، مما يشير إلى فقدان الحزب والصحيفة كل عون منه .

(١٠) صبرى أبو المجد : حمد فريد ، ذكريات ومذكرات (الهلال) أكتوبر
١٩٦٩ ، ص ٩٨ .

(١١) La Dépêche, Jullist 16—1910 (11)

(١٢) يونان ليبب : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

(١٣) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، القاهرة ١٩٣٦ ،
ص ١٦٩ .

خامساً : الشيخ علي يوسف وحققه على الحزب أو الصحيفة ، فقد
 اتضح أنه هو صاحب اليد الطولى في هذه القضية ، بل كان هو المبتدئ
 فيها ، وهو الذي أعطاها الشكل المثير ، ويمر ثم كانت نقطة التبعية
 فقد قال في « المؤيد » « زارنا منذ يومين حضرة الشيخ علي الغياتي
 المحرر بجريدة العلم ، وقدم لنا نسخة من كتاب شعري وضعه حديثاً
 بعنوان « وطنيتي » ، وقال أقدمه اليك ، وأن يكن بلهجة حزب لا ترضيك
 لهجتك » ، فقبلته بحسن القبول ، وعزمت على أن أقرأه كما يستحق أهيب
 مثله يحسن الشعر ، ويعمل — كما يعتقد — لحياء الشعور الوطني ،
 ففتحت الكتاب فوقع نظري على قوله :

يا ليت شعري هل رأيت كما أرى ان « المؤيد » معهد الهفوات
 فنشرت فيه ما نشرت وانما هي زلّة من أكبر الزلات (١٤)

فاستوقفني هذا السبب إلى المؤيد هتية ، وقلت لعل حضرة الشيخ
 الغياتي أراد أن يوجه لي هذا الكلام مشاهداً

فبعد الاستئذان من قانون المطبوعات ، وبعد الاستعانة من القوانين
 الجديدة ، وبعد الاعلان فإنه لا اتفاق بين المؤيد وبين الشيخ علي الغياتي ،
 قال حفظه الله تحت عنوان « وطني يناجي ربه » :

رب ان البلاد أرهقها الظلام م وحاقت بأهلها البأساء
 رب ان الصدور أخرجها الوجه د وأودت بحلمها الأراواء
 فتدارك بلطفك الفيل خشي لا تجاري حياة مصر دماء (١٥)

(١٤) هذه الأبيات ضمن قصيدة في الكتاب بعنوان (الدستور وحديث
 شاعر الأمير) وهو حديث أجراه منقوب المؤيد مع الشاعر أحمد شوقي انتهى
 فيه إلى تصريحه بأن الخديو لا يستطيع منح دستور دون موافقة الاحتلال
 فنشر الغياتي هذه الأبيات في جريدة الدستور في ٢٣ سبتمبر ١٩٠٨ وقرأها
 بطبيعة الحال الشيخ علي يوسف ولكنه أخفأ لها هذا التوقيت للإبلاغ عنها .
 (١٥) المؤيد ٤ يولية ١٩١٩ ، وطنيتي .

وهكذا فجر الشيخ طلي يوسف قضية كبيرة بهذا البلاغ ، وظل يزكّيها بقلمه وخيلته التي لم تنتهت بما كان يرمى إليه وهو متجنّب الشيخ عبد العزيز جافيش ومحمد فريد .

سير الأحداث بعد البلاغ :

استجابت النتيجة العامة لبلاغه ، وبدأت تحقيقها يوم ١٢ يوليّة ١٩٩٠ مع الشيخ جافيش ولعسماعيل أفندي حافظ المسؤول عن جريدة « العلم » ، على أساس أن الأول كتب المقدمة - التي عرضها بعضا منها - تقرّضا لعمل الغياتي ومذحا لاتجاهاته ، وانتهت بأنه يسعى بهذا العمل إلى التحريض على القتل السياسي والعيب في الذات الخديوية^(١٦) ، كما كان ضمن الاتهامات ما نشره في كتابه تحريضا للشعب

(١٦) أحد شقيقه ، مذكراتي في نصف قرن ، ص ٢٣٩ ، خاصة وأنه قد استنفر الرأي العام ضد الخديوي فكّيت يقول :

أعباس هذا آخر العهد بيننا	فلا تخش منا بعد ذاك عتابا
أيرضيك فيما أن نكون أذلة	ننال إذا رمنا الحياة عتابا
أرضيت أعداء البلاد وأهلها	وأصليتنا بعد (الوفاق) عذابا
رويدك يا عباس لا تبلا الذي	ولا تستمع للظالمين خطابا
فما يبتغى غوربيت الأكميدة	تحول أعلام الإسلام أحرابا
وها قد رمى جرية القول رمية	بسهبك تجنى البلاد غرابا
الا امطر الله الوزارة نقيمة	ولا بلغت مما تروم معجرا
تحاول أن تقضى علينا بائها	ولكن سنلقى دون ذاك اثاما
وزارة خداع أقامته بيننا	يد الحاكمين الآمين قساما
وبين يديه عصبة بطرسية	تصوب نحو المصلحين سهام
جنى ما جنى في دنشواي وغيرها	ولم يكن حتى السجل جراما
نفيد أعلام الصحافة عليها	إذا أبصرت سودائه تنعاسا

إلى آخر القصيدة ، وقد نشرت في اللواء يوم ٢٧ مارس ١٩٠٩ .

على القيام بالثورة (١٧) *

الا أن التحقيق مر بمراحل عريية ، كسفر الغاياتى وهو المتهم الأول فرارا من القضية وما يترتب عليها من أحكام ، ثم إجراءات محاكمة الشيخ عبد العزيز جاويش ، وموقف الأعداء والأصدقاء منه ، وتأجيل إجراءات التحقيق ، ومحاكمة المتهم الغائب فى أوربا ، وهو محمد فريد ، وفى سرد هذه الوقائع ، كما تظهر النية فى ضرب الحركة الوطنية فى أشخاصهم .

هروب الشيخ على الغاياتى :

فعندما أحس الشيخ على الغاياتى بتحريك البوليس للقبض عليه عزم على ترك مصر كلها ، وفكر فى الهروب الى الاستانة ، حيث لا تصل اليه أيدي أعدائه ، ولما كان ماله يقصر دون وصوله الى هدفه لجأ الى الاقتراض من بعض أصدقائه الذين تكتموا سره ، وتحرك ليلا على أنه فى طريقه الى بلده دمياط ، فى حين سافر الى الاسكندرية متخفيا فى زي افرنجى بعد أن خلع العمامة (والكاكولة) وجملته الباخرة « الخديوية » الى الاستانة (١٨) ، وتمكن بذلك من اضافة غيظ اخر للسلطة فى مصر ، نفست عنه فى حكمها على الباقيين .

(١٧) نشر الغاياتى هذه القصيدة بعد الحكم على الشيخ جاويش فى ٢٥ أغسطس ١٩٠٩ بالفراة فقال :

هل سال فى مصر الدم	أم ثار فيها المسلم
ودعا دعاء محمد	داع فهب النجوم
ومضوا الى اهل الضنلا	ل فاعدموا من اعدموا
واسفتتحو باب الجحيم	له ولم يترحموا

الى آخر القصيدة التى بلغت أربعين بيتا وزادت اربعة .

وتد قام البوليس السرى بمهاجمة دار صحيفة العلم — لسان حال الحزب الوطنى ، وجمع نسخ الكتاب وصدر قرار بتحريم بيعه أو تداوله ، البلاغ المصرى ٢٧ يولية ١٩١٠ .

(١٨) البلاغ المصرى ٢٦ يولية ١٩١٠ (طريقة سفر الغاياتى للاستانة) .

وما أن أحس الشيخ على يوسف بهروبه الا وقام يستنصر القوى
ضد الباقيين ، وبدأوا بالتعليق على هذا الهروب ، فقال أحدهم نكتة : ليت
الشيخ الغاياتي ينظم لنا قصيدة في واقعة هربه حتي يكون قد أكمل كل
مميزات وطنيته (١٩) .

كما شاركت المظلم في التنبيد بهروب الغاياتي والمظليل من هيمته ،
باعتباره أحد رجال الحزب الوطني ، فنشرت على لسان مندوبيهما في
الاستانة والذي تقابل معه هناك ، واستنصر منه عن طريقة هروبه ،
وتبادل المؤيد صيغ التهكم على هذا العمل (٢٠) .

ولما وصلت هذه الأخبار الى الشيخ الغاياتي رد بعقال في البلاغ
المصري يكذب ما نشره المظلم عن أسباب قراره وأسلوبه في ذلك ، وأضاف
أن المال الذي اختعان به كان من رواج كتاب « وطنيتي » وبيعه ١٩٠٠
نسخة « لكبراء الامة وخيرة أبنائها وهو المقدار الذي وزعته بيدي قبل
مبارحة القاهرة ، وحسبي ألف نسخة من هذا العدد لأعداد معادات
السفر ونفقات الإقامة » وأتى الى أن « تلك الاقلام التي لا تخط غير
الافك والبهتان حتى احطما تحطيمًا » (٢١) .

وتر الأيام ، وبعد ثمان وعشرين سنة يدل محمد لطفي جمعة على
كلام الغاياتي في هذا بأنه وصله بالبريد عام ١٩١٠ مائة نسخة من كتاب
« وطنيتي » لتوزيعها على الطلاب في فرنسا أيام أن كان طالباً في قرية
شار بونيير من ضواحي ليون (٢٢) .

الا أن المؤيد يعود فيقص هذه الواقعة بصورة أدخل فيها محمد
فريد رئيس الحزب الوطني ، وعلى لسان الغاياتي نفسه فقال « جاعتنا

-
- (١٩) المؤيد ١٣ يولية ١٩١٠ « تهمة الغاياتي وغيره » .
(٢٠) المظلم ٢٥ يولية ١٩٠ ، الغاياتي في الاستانة « والمؤيد ٢٦ يولية
١٩١٠ « الغاياتي في الاستانة » .
(٢١) البلاغ المصري ٩ اغسطس ١٩١٠ .
(٢٢) منبر الشرق ، العدد الال ٦ مايو ١٩٣٨ « من ذكريات الماضي » .

رسالة مطولة بتاريخ ١٣ أغسطس ١٩١٠. تضمنت تاريخ الرجل مع الحزب الوطنى ، وكيف ألف كتاب « وطنيتى » وطبعه بمصاريف فريد بك رئيس الحزب الوطنى وكيف كانوا يصححونه ، ويزيدون فى جملة الحماسية ، وكيف حملوه على الهرب من مصر (٢٣) .

الا أن الشك يتطرق الى هذا الاتهام الجديد لمحمد فريد ، على

أساسين : -

أولاً : أن تاريخ الرسالة (١٣ أغسطس ١٩١٠) هو نفس تاريخ المقالة التى نشرها الغاياتى فى المقطم ، حليف المؤيد فى هذا المقام ، ضد الحزب الوطنى ، والذي يتبرأ فيها من الأسباب التى ادعاها مندوب المقطم انتحالا وليس صحيحا .

ثانياً : ان الشيخ على يوسف بعد أن سرد هذا الحديث قال : « ولكننا لم ننشر هذا الخطاب الطويل لعدم ثقتنا بخط الكاتب ، ولا نبيد أن يكون على الغاياتى استملاء استملاء لآخر وضمته الحقائق التى يعرفها عن الحزب الوطنى ليوقعه فى ارتباك » ، وانتهى حديثه أنه « على استعداد أن يعرضه على أعضاء الحزب الوطنى ليعرفوا كيف قلب لهم الغاياتى ظهر المجن ، أو هو أراد أن يلعب بهم على حساب المؤيد لعبة جديدة » (٢٤) .

أثر موقف الشيخ على يوسف :

واضح هنا نية الشيخ على يوسف لتوسيع شقة الخلاف بين الغاياتى والحزب الوطنى من جهة وبين محمد فريد والسلطة من جهة أخرى ، مستغلا الشك الذى بدأ يتطرق لبعض أعضاء الحزب وبعض الصحف المسائرة له ، نتيجة كثرة طرقه هذا الموضوع ، فقد شك البلاغ المصرى فى موقف الغاياتى ، وبدأ يقلل من قدره على أساس أنه لم يكن « من

(٢٣) المؤيد ١١ أغسطس ١٩١٠ .

(٢٤) المرجع نفسه .

أما طين الحزب منتما إليه انتماء ينبغي من ورائه الشهرة الزائفة والصيت
انطائر دون أن يكون عضوا فيه » وأضاف البلاغ تقييم عمله بقوله « اننا
نعتقد أن الرجل بماء عيول ، اما أن يكون ذلك الصديق الجاهل الذي يضر
من حيث يريد النفع واما أن يكون عدوا لابسا ثوب الأصدقاء » ذلك هو
اعتقادنا فيه ، وللقراء أن يحكموا عليه بما شاءوا » (٥٢) .

ثم ما لبث الدبيش أن عاد ليعلق على هذه الفتنة ويحلمها ليصل الى
رأى جديد وهو أن الشيخ على يوسف هو الذي اتفق مع الشيخ على
الغاياتي على أن يطلب من كل من محمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش
أن يكتبتا مقدمتيهما ، وهما يجهلان ما تضمنه الأوراق ، ليوثق بهما في هذه
القضية ، ووصفا الاثنين بالجاسوسية والدناءة .

« ان قضية الغاياتي هي قضية الشيخ على يوسف هي قضية
جاسوسية ودناءة ... من ذا الذي أوحى الى الشيخ على الغاياتي أن
يسأل محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز جاويش مقدمة لديوانه الذي كان
مضمونه مجهولا ، هو عقرب المؤيد ، ومن ذا الذي توسط للغاياتي في
أمر هذه المقدمة ، هو عقرب المؤيد ، ومن الذي أسرع بعد طبع المقدمة
الى الوشاية بصاحبها وابلاغ أمرها الى الاحتلال ، هو عقرب
المؤيد » (٢٦) .

وقد كان هذا الاتهام الجديد للشيخ الغاياتي محركا له ، فكتب
يدفعه عن نفسه بأن أرسل خطابا الى البلاغ المصري يقول فيه « لعمري
لو كان لأحد من دون الله علم بما يختلج الصدور ويستن في الضمائر ،
لكان لهما العلم بما أسرت وأخمرت ، وهما اللذان لهما في فؤادي الحب
الكين والمنزل الذي لا يتول ... ماذا جنيا وقد جنتهما راجيا أن ينفحاني
بكلمات من كلماتهم الحكيمة في الشعر وتأثيره في تربية الأمم ، ثائلا

(٢٥) البلاغ المصري ١٩ يولية ١٩١٠ (الشيخ للغاياتي) .

(26) La Dépêche, Juillet 21. 1910.

عن حسن نيته لهما ، اتى بتأليف ما نظمته فى الحوادث الوطنية فى كتاب
اسميته « وطنيتى » ، وقد شئت أن يكون لكتابى ميزة بقولكم وخطكم ..
على أن حضرة محمد بك فريد اعطاني كلمة سودة وسافر الى أوروبا ، وهو
لأن لم ير كتابى ، وأن حضرة الشيخ عبد العزيز جاويش ما قرأ منه
صفحة لانصرافه الى خدمة الأمة » (٢٧) .

وهكذا تظهر نية المعارضة المتمثلة فى المؤيد والمقطم فى ضرب الحزب
من داخله كما ضربوه من الخارج ، فوقيعته بين الشيخ الغاياتى وبين
الشيخ جاويش ومحمد فريد وصلت الى أن البعض صدقها واهتز ايمان
الأعضاء بعضهم لبعض ، فيظهرون بوجه قبيح أمام مصيركلها وتكون المطمة
للحركة الوطنية بجانب القضية الأصلية التى تمثل ضربة لعل وطنى
كبير فى ذلك الوقت .

ونأتى الى مرحلة تخدم أخرى من الشيخ على يوسف للشيخ
عبد العزيز جاويش ، فعندما استجوبت النيابة العامة الشيخ جاويش حول
مدى مسئوليته عن اللواء عندما كان الغاياتى ينشر فيه قصائده أجاب بأنه
فى تلك الفترة لم يكن هو المسئول عن الصحيفة بل كان المسئول عنها هو
الدكتور منصور فمهى رفعت (٢٨) .

وما أن علم الشيخ على يوسف بهذه الاجابة حتى استنكرها ، وكتب
ساخرا من صاحبها « انه ليس هناك شجاعة ولا اقدام ، وانما هو فرار من
وجه القانون ، وانهم أمام الكوارث وجسز ع فى مواقف الشدة ..
وبالجملة هو ما وصف المؤيد به وطنيتهم فى عدد مضى بأنه الوطنية
الفرارة » (٢٩) .

(٢٧) البلاغ المصرى ٢٧ ولاية ١٩١٠ (هجرة الغاياتى) .

(٢٨) البلاغ المصرى ١٩ يولية ١٩١٠ (الشيخ جاويش وقضية وطنيتى) .

(٢٩) المؤيد ٣١ يولية ١٩١٠ « الوطنية الفرارة » .

أما المقطم فقد قال « ان الشيخ باجوبته هذه أمام النيابة قد فقد
احترام المقطم » (٣٠) .

يتضح من هذا مدى تحامل المعارضة على الحزب ، وفرجهم بالايقاع
به فى دائرة الاتهام وشماتتهم فى اقطابه مما دفع البلاغ المصرى الى
الدفاع عنهم ، فقال عن الشيخ جاويش « ان القول بأنه فقد منزلته
الأدبية عندهم ، فنحن نعلم منزلة أولئك الذين سقط » .

وكأنى بلسان حاله يقول :

إذا رضيت على كرام عشيرتى فلا زال غضباناً على لئامها (٣١)

وكان البلاغ هو أكثر الصحف الموالية للحزب الوطنى جرأة فى
الرد ، لأن المسئول عنه كان البان دى روجا الفرنسى الجنسية والذي
حمته جنسيته من الوقوع بين برائن قانون المطبوعات ، فكان هو أنصوت
الصارخ فى وجه الظلم الذى حاق بمنهمى هذه القضية .

وهكذا تظهر خيوط التآمر بين أداة القصر وهو المؤيد وأداة الاحتلال
وهو المقطم ضد الحزب الوطنى منتهزة ظهور هذا الكتاب ، وما واكب
ظهوره من أحداث .

سير المحاكمة :

التحقيق فى قرار الاتهام الذى أعلن به المتهمون الموجودون والغاياتى
وعلى أية حال فقد استمرت النيابة فى تحقيقها حتى تبلور ذلك
الغائب .

أما فريد فلائه كان غائبا خارج البلاد ، ولظروف مركزه كرئيس
للحزب الوطنى ، بل التنية الميئنة للتشهير به ، فاعلنوه مرجئين محاكمته

(٣٠) المقطم ١٩ يولية ١٩١٠ .
(٣١) البلاغ المصرى ٢٠ يولية ١٩١٠ .

ريثما يعود (٣٣)، وكان في هذا احراج له اذا ما تخلف أو ظل في الخارج
فيترجم الموقف بخوفه من المحاكمة •

أما قزار الاتهام فكان ضد كل من :

١ — الشيخ على الغياتى — المصحح بجريدة العلم ، الغير معلوم
له محل اقامة بالقطر المصرى •

٢ — الشيخ عبد العزيز جاويش — المحرر بجريدة العلم والمقيم
بالعباسية بمصر بجهة ميدان الحربية •

٣ — الشيخ محمد حسن القزوينى — الموظف بقلم تحرير العلم
ومقيم بشارع الموسيقى •

٤ — الياس أفندى دياب — صاحب مكتبة التأليف وساكن بالفجالة •

وكان الاتهام الموجه الى المتهم الأول « على الغياتى » هو وضعه
ونشره كتابا يسمى « وطنيتى » ويشتمل على قصائد ومنظومات ، يتضمن
بعضها التحريض مباشرة على جناية القتل ، وبعضها التحريض على
كراهية الحكومة والازدراء بها ، وبعضها تحسين الجريمة التى كان قد
ارتكبها الشيخ عبد العزيز جاويش وحكم عليه من أجلها فى العام الماضى
وغيرها ، وبعضها العيب فى حق ولى الأمر ، وبعضها اهانة ناظر الحفانية
بصفته موظفا عموميا ، وبعضها اهانة هيئة الوزارة والحاكم •

وقد طبع هذا الكتاب ونشر بمصر وضبط فى يومى ٦ ، ١١ يولية

• ١٩١٠

أما المتهم الثانى « الشيخ عبد العزيز جاويش » وضعه مقدمة
للكتاب المذكور تتضمن تمجيده وتحسينه والحض على قراءته ، وبذلك يكون
مسئولا عن الجرائم المبينة آنفا (أما بصفته فاعلا أصليا) مع الشيخ

(٣٢) المقطم ٢٥ يولية ١٩١٠ •

على الغاياتي لانيانه عملا من الأعمال المكونة لهذا الكتاب ، وهي المقدمة المذكورة التي طبعت ونشرت ، وذلك طبقا لقانون العقوبات (وأما بصفته شريكا فيها) وذلك بمساعدة الفاعل مع علمه بالجريمة على ترويح ونشر هذا الكتاب بوضعه هذه المقدمة له أو عن جريمة تجسسين وتمجيد وضع هذا الكتاب ونشره .

المتهمان الثالث والرابع : بقتضى المواد المذكورة أعلا بأنهما نشرتا الكتاب المذكور بأن باع الأول منه عدة نسخ للثاني يقصد بيعها وهذا عدها للبيع وباع منها لأشخاص آخرين ، وذلك بعد العلم بضبطه بمعرفة الحكومة ، منعا لانتشاره ، وبذلك يكونان مسئولين عن الجرائم المتقدم ذكرها بصفتها فاعلين أو شريكين (٣٣) .

وكان الدفاع عن الشيخ عبد العزيز جاویش من الاستاذ محمد بك على المحامى بأسيوط وأحمد بك لطفى المحامى بالقاهرة .

أما المتهمان محمد حسن القزوينى والياس أفندى دياب فقد وكلا عنهما الاستاذ محمد بك أبو شادى المحامى (٣٤) .

وقد أشار الاتهام الى القصائد التى حملت المعانى التى يجرمها القانون .

وكان المؤمل أنه اذا ما وصلت الأمور الى أعتاب القضاء تمسكت الألسن فى انتظار حكمه ، ولكن المعارضة ظلت تركى النار من حول المتهمين وتناحرت الصحف فيما بينها ، ولعل المقطم والمؤيد كانا يريدان نصب شرك لايقاع أكبر عدد من رجال الحزب الوطنى وكتابه ! أو كانا يبيغان بما كانا ينشرانه زيادة الضرب على الحركة الوطنية ! أم كانا

(٣٣) ورد نص اعلان المتهمين بالاتهامات الموجهة اليهم وحضور جلسة

المحاكمة فى البلاغ المصرى ٢٧ يولية ١٩١٠ .

(٣٤) البلاغ المصرى ٢٨ يولية ١٩١٠ .

يهدفان الى ارضاء الاجتلال ، فالمقطم بوقه ، والمؤيد صوت الخديو الذى توافق وتآلف مع الاجتلال منذ سنوات ؟ !

تلك فروض وان كانت مؤشرات ترقى الى مرتبة الحقيقة ..
ففى هذه الفترة الحرجة من سير القضية جعلت كل من الصحيفتين تنشران المقالات المثيرة فنشرت المقطم بعنوان « المتاجرة الوطنية » مقالا كله تهجم وتهكم « اعترف الشيخ على الغاياتى فيما قاله لمدوبنا بالاستانة انه طبع من ديوانه ألفى نسخة وباع منها ١٦٠٠ نسخة قبلما غادر هذا القطر — تجارة رابحة وأيم الحق — يطبع الواجد منا كتابا من أنفع الكتب ويكتفى بألف نسخة فتأكل نصفها الجرذان قبلما يبيع النصف الآخر ، وهذا الغاياتى باع من ديوانه ١٦٠٠ نسخة قبلما جف الحبر على الورق ، ولما أراد للتوسع فى نفقات السفر أعطى ما أراد ، فلبس وتقمش ، وقصد دار السعادة وهو واثق ان نفقاته تصل اليه أينما حل ، فهل فى العالم تجارة أربح من تجارة الوطنية — الغاياتى ومن سبقه ومن سيلحقه من الكتاب والخطباء الذين تاجروا هذه التجارة الرباحة ، فكسبوا بها أحياء وأمواتا سعوا الى مصالحهم فنالوها ورأوا فيها مغنما فغنموه » (٣٥) .

فهى فى هذا انما تقصد العالمين فى الحزب الوطنى وتحاول اتهامهم بأنهم يسعون من وراء أعمالهم الوطنية الى كسب شخصى ومجد ذاتى .

وظل المؤيد ملتزما جانب الاثارة ليس فى القول والمقالة وحسب ، بل تنبيه سلطات التحقيق والمحاكمة الى أمور من شأنها تحقير المتهمين — ومن هم المتهمون ؟! — تلك الأمور التى كان يمكن لهذه السلطة التجاوز عنها ، لأنها لم تكن أصيلة فى الاجراءات ، أو يتطلبها هذا النوع من التحقيق ، كأن نبهت الى عمل صحيفة الة جنائية للمتهمين (تشبيه) وهو اجراء لا يتخذ الا مع المجرمين المتهمين بجرائم مخلة بالشرف والامانة ،

أو أن يكون مجرماً معتاد الاجرام لتحسب جرائمه وتدخل في تقرير العقوبة الأخيرة الى الاتهام المائل به المتهم أمام القضاء (٣٦) .

وكم ثارت الصحف الحزبية وغيرها ، فمنها من تناول الموضوع غمزا وامتناعاً في كلمات وجيزة كالأهرام (٣٧) ، بينما تحمل الدفاع على طول المسار البلاغ المصري الذي كان يتمتع — كما قلنا — بالحماية الأجنبية ، الذي انتهى في إحدى مقالاته في الرد على هذه النقطة الى قوله « ألا يكفي حكومتنا أن يكون سجن الكاتب مع الشقي والفساق والقتال والنهاب » (٣٨) ، وظل يتناول موضوع التشبيه هذا في عدة مقالات ، على أيام مقاتلية ، تارة في القسم الفرنسي في مقالات بعنوان : La Doighr de Cheikh أو أصبح الشيخ ، وكان حديثه فيها بتهكم صارخ فكتب يقول « أصابع الشيوخ نادرة في قلم تحقيق الشخصية ولذلك أراد رجالنا أن يحصلوا على بصمات أصابع الشيخ عبد العزيز جاویش ومتى حصلوا عليها كانت لهم أكبر فوز وأعظم تمزية ، وكم من أشياء يقرؤونها من خلال بصمات تلك الأصابع التي طالما كتبت مقالات دفاعاً عن الحرية ، وأحياناً كتبت مقدمات « للوطنية » (٣٩) .

ثم تارة أخرى في البلاغ المصري يستكمل نفس الموضوع ولكن بقلم كاتب آخر كتب يعلق ويستكمل ما بدأه البان دي روجا في الدبش « ... أصبح الشيخ عبد العزيز جاویش لا يتحرك الا ليحرك القلوب الجامدة ، ولا يكتب الا ليثير في النفس كامل الاشجان ، ويشعل في القلوب نار الحرية ... أما أصبح الشيخ على — وشتان بين الاصبعين — فان أشقى شيء في ذلك الشيخ أصبعه فهو يأتي المفكرات ويرتكب الخيانات ، ويضر بصاحبه وبالناس أجمعين » (٤٠) .

(٣٦) البلاغ المصري ٢٩ يولية ١٩١٠ (تشبيه الكتاب — الاحتجاج على تشبيه صحافي) .

(٣٧) الأهرام ٣٠ يولية ١٩١٠ .

(٣٨) البلاغ المصري ٢٩ يولية ١٩١٠ .

(39) La Dépêche : Julliett 29—1910.

(٤٠) البلاغ المصري أول أغسطس ١٩١٠ (أصبح الشيخ بقلم زهير) .

وما كان من الشيخ على يوسف إلا أزداد من أضرار النار حول الحزب الوطنى كله ، عندما كتب فى المؤيد « .. فالغاياتى اذا فوض من جنود الحزب الوطنى ، ولو لم يكن فارا اليوم لكان مجرما قاتلا ، فهل كل جنود الحزب الوطنى من أمثال الوردانى والغاياتى ، وما وظيفة قواد هؤلاء الجنود فى مصر بعد ذلك » (٤١) .

أى أن المؤيد فى هذا — وهو فى حوى السلطة — استطاع أن يصل الى كثير من أهدافه ، وحقق الكثير من خطته فى ضرب الحزب الوطنى ، وكال له كل تلك الكلمات ، وكانت السلطة بشقيها الشرعى المتمثل فى الخديوى والفعلية وهم الانجليز راضية عما كان يفعل مقيدة بقية الصحف بقيود قانون المطبوعات ، الذى كانت يد الاحياء قد تناولته منذ حوالى عام قبل هذه القضية .

وهذا ما عكسه البان دى روجا الذى التزم هو أيضا بجانب الدفاع فى هذا السجال فقال بأن « كل سلطة تحس بأنها حاصرت الى الضعف تعتمد الى سياسة الشدة وكل حكومة ترى انها مكروهة تعتمد الى الاضطهاد ، وهذا سبيل كل سلطة وحكومة تحس بأنها متداعية » (٤٢) .

ان قضية الغاياتى سينظر فيها بعد أسبوع ، وهل فى استطاعة السلطة التى أقفلت الباب فى وجه مبادئ الحرية والتسامح أن تتجنب هذا الفخ الذى يتصبه هى بنفسها .

ما أسخف هذه المؤامرة السوداء الذى سيضحك منها جميع من بضاعتهم اضحاك الناس فى أوربا ... واذا ألقى الشيخ عبد العزيز جاويش فى السجن ، فما هى بأول مرة برهنت فيها وطنيته على قبوله مثل هذا العقاب برزانه فلسفية فى سبيل مبادئه » (٤٣) .

(٤١) المؤيد ٢ أغسطس ١٩١٠ .

(42) La Dépêche Juillet 31—1910.

(43) Ibid.

وهكذا بدأت القضية تدخل ساحة المحكمة وتمثل أمام القضاء وسط جو مشحون من كل ناحية ، فكان يوم ١٦ أغسطس ١٩١٠ يوماً مشهوداً ، شددت فيه الحراسة ، وأصطف الجند حول مبنى المحكمة وكأنها ديتشواى جديدة ، وكانت هيئة المحكمة قد تشكلت برئاسة محمد بك مجدى القاضى وعضوية على بك ذو الفقار والمسيو سودان ومثل النيابة توفيق بك نسيم ، ويبدو أن غليان النفوس كان واضحاً ذلك من قطع رئيس الجلسة أعماله لينبه على الحاضرين بالترام « الهدوء والأدب » .

وجعل رئيس الجلسة يسأل كل منهم عما هو منسوب إليه ، غنقى الشيخ جاويش حظه الناس على شراء الكتاب وقراءته واتلّع ما فيه ، وكذلك أنكر الشيخ القزوينى ترويجه وقرر بأن « غاية ما هناك أن الشيخ الغاياتى ترك لى عشرين نسخة ثم جاء تابع الياس أفندى وأخذها » .

ونفى الياس أفندى دياب علمه بأن الكتاب مصادر ، وأنه لم يقرأه شأن كل الكتب التى يتجر فيها (٤٤) .

وبدأ وكيل النيابة مرافعته بالقاء الاتهام على كل من المتهمين ، حاولت جهده الضاق التهم بكل منهم خصوصاً الشيخين جاويش والغاياتى بكل ما أوتى من أدلة وحسن بيان .

فبالنسبة للشيخ على الغاياتى فقد وصفه بأنه « من الذين ينظرون بغير رؤية ويحكمون بغير عقل ، وأخذ لنفسه صفها من كثرة استباحة الجرائم وتنظيم الحياة ومن سوء التهم على أسمي مقام فى البلاد والتجرم على هيئة الحكومة بما أودعه كتابه » وأورد نماذجاً مما حواه الكتاب ، ثم ساق كلمتى كل من محمد فريد والشيخ جاويش دليلين على سوء قصدهما ، سيما وإن الغاياتى كتب أنه تلميذهما ، ومن ثم فهما

(٤٤) البلاغ المصرى ٧ أغسطس ١٩١٠ ، وقد قارنا ما ورد فى هذا الصدد فى المبدأ - كصحيفة معارضة - فوجدت مطابقة على أساس أنها وقائع حضرها جمع شهود الطرفين فلم تتطرق إليها يد التغيير .

مستولان معه عما كتب سيما وأن مقدمة محمد فريد تحدث فيها عن الشعر وكيف أنه يحض على القتال ، وأنه يجب اقتحام الاخطار وحمل النفوس على المكاره ويعيب ما يقال من الشعر مدحا في الأمراء والكبراء .

أما مقدمة الشيخ جاويش وفيها أن الشعر يترك في النفس أثرا يوحد العزائم ، ولم يعترف بدفاع الشيخ في التحقيق من عدم علمه بما احتواه الكتاب ، وأنه انما كتب هذه المقدمة من باب المجاملة ، وقال وكيل النيابة في مرافعته « ليس أهون يا حضرات القضاة من جلوس الكتاب وراء مكاتبهم فيطير بهم خيالهم ، ويرسلون أقلامهم ، فيحملون على الرجال ، ويرمون البعض بالمروق » .

وانتهى الى أن الشيخ جاويش يعلم بيقين ما ضمه الكتاب وأنه كان رئيسا لتحرير اللواء عندما كان الشيخ الغاياتي ينشر قصائده فيه وأن كان الغاياتي قد أضاف قصائد أخرى بعد أن كتب جاويش مقدمة الكتاب .

وبعد أن انتهى من مرافعته بدأ الدفاع مرافعته فركز على النقاط الآتية :

أولا : ان هذه الجرائم لم تكن مجرمة حال وقوعها ، إذ أن القانون الذي جرمها صدر أثناء مثولها للطبع ، وأنه نشر في الوقائع المصرية في ٢٠ يونية ١٩١٠ أى قبل ظهورها للقراء بأربعة أيام ، وأن القانون يسرى بعد خمسة عشر يوما من نشره أى لا ينسحب عليها تماما .

ثانيا : ان المؤلف سبق له نشر معظمها في الصحف وقرأتها السلطة عندما قرأها الناس ولم يحدث أى اعتراض عليها .

ثالثا : ان من عادة المؤلفين عندما يجمعون شتات أفكارهم وانتاجهم كما فعل الشيخ الغاياتي ، انما يحسون بحاجة الى الاطراء ، فكان ان لجأ الغاياتي الى جاويش ومحمد فريد ليكتبيا له مديحة مستطردا ، كما أن الشيخ الغاياتي أعلن عن ظهور كتابه وهو في المطبعة وأنه في هذه الفترة

طلب المقدمة من كل منهما ، وبذا فانهما لم يكونا يعلمان بما ضمنه الكتاب .

رابعا : بدأ بعد ذلك يخوض فى نواحي فقهية وقانونية مثل :

(أ) هل تدخل هذه الكتابات تحت طائلة قانون العقوبات ؟

(ب) هل يعتبر الشيخ جاويش فاعلا أصليا أم شريكا ؟

(ج) هل تعتبر كتابته للمقدمة تحسينا لارتكاب الجرائم كما ورد فى

الادعاء (٤٥) ؟

ثم قدم الدفاع فى النهاية مذكرة فيها تعليق على ما نشره فى كتاب « وطنيتى » وطلب نشرها ضمن وقائع الجلسة فرفضت المحكمة نشرها بعد قبولها وأبلغت النيابة العامة ادارة المطبوعات بمنع نشرها لأن فى ذلك إعادة نشر لمحتويات الكتاب من جديد وبصورة رسمية (٤٦) .

صدى المحاكمة :

بعد هذه المرافعات أصدرت المحكمة حكما الذى تصدر هذه الدراسة ، سيق بعده الشيخ جاويش الى سجن الاستئناف بالقاهرة فى اليوم التالى ، وبدأت الصدور تخرج ما حوته من ضغوط ، وبات واضحا انها ضربة للحزب الوطنى ، قالحكم انصرف فقط الى كل من الشيخ على الغاياتى والشيخ عبد العزيز جاويش حيث أوقف تنفيذ العقوبة بالنسبة لبقية المتهمين ، وسواء كان ايقاف التنفيذ هذا مبناه القانونى صحا أم غير ذلك فان المعارضة قد وصلت الى هدفها وبات الاحتلال والخديو قريز العين .

ولكن الأمور لم تهدأ ونستقرئها فيما تناولته الصحف .

(٤٥) البلاغ المصرى ٧ اغسطس ١٩١٠ .

(٤٦) المقطم ٦ اغسطس ١٩١٠ .

- ولنبداً بالصحف المعتدلة كالأهرام والجريدة ، ثم نعقب بالسجالات
الذى بدأ ثانية بين صحف اليمين واليسار .

فُنشرت الأهرام غداة المحاكمة مقالاً بعنوان « محاكمة الصحفيين »
استنكرت فيه أسلوب الحكومة في معاملة هذه الفئة والحث في طلب سن
قانون خاص بمعاملتهم اذ لا يجب معاملة الصحفي صاحب الرأى بمعاملة
السارق والقاتل والسفاح « فتسجنهم في ذلك القفص الحديدى أثناء
المرافعة » (٤٧) .

وهى بهذا تكون قد قامت بواجبها فى المجاملة اذ المعروف عن الأهرام
بعدها عن الخوض فى الموضوع لأنها لم تكن صحيفة حزبية ولذلك اهتمت
بالشكل فقط .

ولو انها لم تسلّم من لوم المقطم عندما رد عليها فى هذا الصدد ،
وناشدت الحكومة الاستمرار فى القسوة ومعاملة « المنحرفين » من
الصحفيين هكذا « حتى لا يكون خرقاً فى الرأى وخطأ فى السياسة
وتتفقرا أمام الحزب الوطنى ، لأنه اذا سن للصحفيين قانون يضمن
لهم راحتهم .. ضاعت حكمة القصاص وعد حملة الاقلام السجن مكانا
يغيرون فيه الهواء » (٤٨) .

أما الجريدة فكانت قد أظهرت موقفها المعتدل قبيل جلسة الحكم
فُنشرت كلمات عامة عن عادة التقريظ للمؤلفات وأسلوب طلب المؤلف لها ،
وأشارت بين طرف خفى الى أن مقرضى كتاب الغياثي لم يكونا يعلمان
بمحتواه ، وان ما كتب لم يكن تحسیناً مباشراً للكتاب أو موافقة لصاحبه
على ما أورده فيه « فصاحب الكتاب الذى يود أن يقرظه بعض الذين لهم
شهرة ذائعة فى عالم التأليف ييذل نفسه فى سبيل ذلك ، وربما كان له مع

(٤٧) الأهرام ٨ أغسطس ١٩١٠ .

(٤٨) المقطم ٩ أغسطس ١٩١٠ .

المقرظ علاقة ودية، فيكون التقريظ مبنياً على تلك الرابطة لا على قيمة الكتاب .

وكثيراً ما يحدث أن يكون لدى المقرظ أشغال تضطره إلى اغفال الاطلاع على خفايا الكتاب المقدم إليه ليقرظه فيقدم على مدح الكتاب بغير علم بما فيه وربما كان كله خطأ وخطلاً وتناقضاً فله العذر في ذلك ، فان الحاف المؤلف يضطره إلى التقريظ أو بعبارة أخرى لتقييد فكره على الاستحسان والمدح حيث يجب الاستقباح والقدح » (٤٩) .

ثم كتب أحمد لطفى السيد بصراحة رأيه فى القضية ، سيما وأنه كان من أصحاب الزمى فى ذلك الحين ، « نحن نثق بفضائلنا مهما ألمع الناس فى أحاديثهم إلى قصد الحكومة من تعقب رجال الحركة الوطنية ورجال الحزب الوطنى على وجه الخصوص .. ولكن رأينا .. أن مقرظ الكتاب أو ناقده الذى يقول أطلعت على كتاب كذا وقرأه وأرى رأى المؤلف فيه يعتبر فاعلاً أصلياً مع المؤلف فى الجريمة ، فإذا كان حضرة الشيخ عبد العزيز جاویش يقر الغاياتى الشاعر على ما جاء فى ديوانه فهو داخل معه فى المسؤولية عن الفاعلية الأصلية » .

ولو أن الشيخ جاویش جاء أمام التحقيق واعترف باستحسانه لكل ما ورد فى الكتاب فليس ذلك مدخلاً إياه فى المسؤولية الجنائية لأن المعاقب عليه قانوناً إنما هو النشر لا الاستحسان المجرد الذى وقع قبل النشر أو بعده ، فأما وتقريظ الشيخ جاویش لا يذل بعبارة ولا بأشارته ولا باقتضائه على أنه أطلع على كل بيت من الأبيات الشعرية وأقر الشاعر عليه فلا مسؤولية جنائية ..

وان قصائد الشعر لتقبل الزيادة والنقص بل عادة الشعراء إنه كلما خلا أحدهم إلى شيطانه فأوحى إليه فكرة جاء بها فرحاً مسروراً يدهسها فى

(٤٩) الجريدة يوم أول أغسطس ١٩١٠ (إعادة التقريظ بقلم ع. ق. حسن) .

غضون قضيدته ولو كانت في المطبعة ومن له مران بطبع دولوين الشعر يعلم من الشعراء هذا الوصايس .

متى تقرر ذلك وجب أن تثبت النيابة العمومية أمام القضاء أن الشيخ جاويش اطلع على الديوان مجموعا تاما بعد كل زيادة أو حذف ، وليس على الشيخ جاويش أن يثبت هو أنه لم يطلع على الديوان ، لأن الاطلاع على الديوان بالجملة والتفصيل والديوان بالنشر هو دون العلم بالجريمة . . . ولقد علمنا أن تقرير الشيخ جاويش ينحصر في أنه يستحسن شعر الغاياتي .

.. فمن أي جهة فان تقرير الشيخ جاويش لا تجده موقعا له في المسؤولية ولا الفاعلية ولا مبالا لثبوتك مهما احتاطت الحكومة مجزئة من مواد القانون (٥١) .

هذا عن صحف الاعتدال ، ولكن حدث أن اضطلعت في الجانب الآخر جريدة المقطم بالتهليل والتقليل من شخص الغاياتي كرمز للحزب الوطني .

وهنا تظهر عدة أمور : أولا ، انفراد المقطم — صحيفة الاحتلال — بشخصية الغاياتي دون بقية المتهمين ، والرأي عندي أنها إنما فعلت ذلك رغم معاداتها للجميع لأن الشيخ جاويش بات في السجن ، ونالت هي بذلك مأربها ، ومحمد فريد في الخارج ، وما زالت القيود في انتظار يديه ، أما الغاياتي فهو السبب الأصلي وأنه في الخارج ولا أمل في رجوعه ، بل ولم يكن يفتأ يكتب في وصف الحزب الوطني .

ثانيا : عدم تناول المؤيد الشخصيات التي حوكت بالتعليق بعد ذلك ، اكتفاء منها بقيام زميلها المقطم بواجبها في هذا المجال ، وكأنها كانت اللعبة قسمة بينهما ، المؤيد تشعل القضية وتتبعها منذ الايلاغ عنها .

(٥٠) الجريدة يوم ٢ أغسطس ١٩١٠ « رأى في حاكمة المقرطين — ل احمد لطفى السيد » .

وتصويرها جريمة يعاقب عليها القانون الى يوم الحكم أما المقطم فتقوم
بدور الشماتة والتهيل ضد الحزب الوطنى ورجاله .

ثالثها : ان صحف الحزب نفسها لم تستطع أن تكتب فى صراحة فى
هذا الموضوع نظرا لصدور قانون المطبوعات ، الذى أضفى سيفا
مسلطا على رقاب كتابها ، فلم يستطع الدفاع والتعليق سوى البلاغ
المصرى والديش احتماء بصاحبهما الأجنبى .

وهنا نعرض لبعض ما كتبه المقطم تعليقا على الغياتى :

« أكبر القضاء الغياتى صاحب كتاب وطنيتى ، وأحله ملا أكبر
من نفسه ، وترك الجرائد السامية تنقل نظمه الذى أنكره الشعر بابنية
المعانى ... ضاقت الدنيا بسعتها عليه وتبرم منه كل انسان ، وعافه المربع
والمضجع ، وكادت تميد به أرض دمياط ، فساقه القدر الى مصر وهى
أم العجائب » « .. والغياتى ما خلق ليكون انسانا فاذا حكم عليه القضاء
فى قضيته فسيحكم عليه الأدباء فى سخافته وسيقيم الأدب من فلان
وفلان وفلان فى يوم قريب ، اللهم امتنى قبل هذا اليوم » (١) .

وفى مقالة أخرى « ما هى بالحادثه التى تستحق مثل ذلك الاهتمام ،
والذنب كل الذنب واقع على أولئك الذين أنزلوا كتاب الغياتى هذه
المنزلة ، وأحلوه هذا الحل على ركاكته وحقارته والا فمن هو الغياتى
وما هو كتاب وطنيتى حتى يسمونه ديوانا ، الا عوض الله الشعراء خيرا
وألهمهم الصبر الجميل » (٢) .

وفى الجانب الآخر نورد جزءا من تعليق صحيفة الحزب الوطنى
« العلم » غداة الحكم وهى من المقالات القليلة التى ظهرت آنئذ فى

(٥١) المقطم ٩ أغسطس ١٩١٠ (من هو الغياتى - ايضاح واعتراف)
لمحمد امام العبد .

(٥٢) المقطم ١١ أغسطس ١٩١٠ (من هو الغياتى) لعبد المجيد
كامل .

صحيف الحزب ، « ما غرض رجال السلطات الانجليزية من كل ذلك الا القضاء على الحركة الوطنية ، وشوهمين أن حبس شخص أو عدة أشخاص كيف لتحقيق ذلك » (٥٣) .

أما البلاغ المصرى فشنت هجوما غريبا على الاحتلال والحكومة ، وظلت فى لهجتها الشديدة حيالها وإن كان قد حدث تغيير فى الهجوم على البلاغ فاصبحت التوقعات باسماء مستعارة مثل : ناصح ، المصرى ، جقوقى حر ، المطيع لأمر الوطن ، عدو الاحتلال ، أبو الهول ، كما كانت هناك بعض مقالات غفل من الأسماء .

ففى يوم المحاكمة (٦ أغسطس ١٩١٠) نشرت La Depeche صورة لكل من الشيخ عبد العزيز جاويز والشيخ على الغياتى ، وكلمة عن كل منهما . وما نسب اليهما من اتهامات بعنوان L'Affaire Wataniti ثم فى اليوم التالى نشرت بعض ما دار فى قاعة الجلسة فى صفحتها الأولى .

وفى البلاغ (العربى) كانت هناك المقالات باللغة العربية والأخرى التى ترجمها عن قسمه الفرنسى . أمعلنا فى توصيل رأى الأجنبى الى القارىء العربى فنقول « ان القضاء الذى نلحقه يد السياسة قد حكم حكمه ، فلننخن أمامه ، كما سيخضع أمامه ضحايا هذا القانون الاستبدادى » ولكن ذلك لا يغير رأينا ، فان الفكرة الوطنية المصرية لا تصيبها هذه الشدة غير المنتظرة ، وسيكون التأثير خارج مصر مؤلما حين يعلمون أن حكومة أجنبية عجزت عن ايقاف تيار الوطنية ، وقامت تنحرب بلا شفقة » (٥٤) .

(٥٣) العلم ١٠ أغسطس ١٩١٠ (قضية استبدادية فى مصر) .

(٥٤) البلاغ المصرى ٧ أغسطس ١٩١٠ وهى مترجمة عن مقال بالقسم

الفرنسى بقلم البان دى روجان .

ثم نشرت كذلك مقالة فيها تنديد بالحكم على الشيخ جاويش
 «... لما علمت مساء أمس بهذا الخبر المنتظر والمدهش دهشة مؤلة»
 لم يدع لى أنفعالى مجالا الا لكتابة بعض السطور أخصها بذلك للوطنى
 الذى رأيت فى غاية التسليم الحكيم والرزانة والشمم... ذلك السجين
 الذى كان أقل حظا من بعض اللصوص أو بعض القتل الذين لم يهتد
 انهم بوليسنا لأنه أعمى فى بعض الأحيان» (٥٥)
 تلك بعض الأصدقاء وبعض المواقف من الجانبين: أما التسبب فقد
 كان يظهر استياءه فى الشوارع وعلى المقاهى غير الخافتة بالنتيجة (٥٦).

وقد أمضى الشيخ عبد العزيز جاويش السهور الثلاثة الأولى
 فى السجن راضيا قارئا متأملا إلى أن أفرج عنه سرا فى أكتوبر ١٩١٠
 حتى لا يثير شعبا عندما يستقبله مريدوه...
 ومما يجدر ذكره فى شأن الإفراج عنه أن البان دى روجا المسئول
 عن البلاغ المصرى كتب يطلب أكثر من مرة الإفراج عنه قبل مواعده
 بمناسبة حلول عيد الفطر «لتكمل فرحته وفرحة العالم الإسلامى»
 واستطرد فى طلبه يقول «ربما لا يجوز لى لكونى أخويا مسيحيا أن
 أتناول فى قضية حكم فيها القضاء المصرى العالى طبقا لأغراضه وضميره
 ولكن ليس فى إمكانى أن أنسى أن الشيخ عبد العزيز جاويش رصيف
 لى» (٥٧).

(٥٥) البلاغ المصرى ٩ أغسطس ١٩١٠ «الجزيرة تضرب عشيقها» وهى
 أيضا مترجمة عن البان دى روجا.

(٥٦) قام أحد المواطنين غداة الحكم بالتجهور فى مقهى ألف ليلة
 بالقاهرة يدعى محمود أفندى فهوى وكان موظفا بالسكة الحديد المصرية
 وخطب فى الجالسین معترضا على الحكم وهتف بهم ورددوا هتافا (فليسقط
 القضاء) وقد حقق البوليس معه وأرسلت محافظة القاهرة صورة المحضر من
 قسم الموسيقى إلى إدارته لجاءته إداريا (الجزيرة ١٣ أغسطس ١٩١٠).

(٥٧) البلاغ المصرى ٣ ٤ أكتوبر ١٩١٠.

وهكذا جاس الشيخ جاويش تجربته بقسوتها ومرها فى تحمل ،
 وخرج بعدها ليكتب بأسلوب آخر مبتدئا بمقال « ما هي علتنا الحقيقية »
 التى بدا منها أنه صار أكثر عمقا فى فهم مبادئه ، وأنه رأى أن التربية
 الوطنية أكثر أهمية فى بناء الأمم وأشد ضرورة لمقاومة الاحتلال ونفوده ،
 حيث دعا الى توجيه الهمم الى تكوين نفسية الشباب وتربيتهم التربية
 الحقيقية التى هي مجمع الفضائل ومبعث الكمالات وأن « التربية
 النفسية هي التى تتوقف عليها رفعة الأمم وانحطاطها بل يتوقف عليها
 عدلها ووجودها » ودعا — كدعوة مؤسس الحزب الوطنى من قبل — الى
 نشر المدارس فى التى تنمى الحس والعقل والثقافة بل دعا الى تأسيس
 « ادارة معارف أهلية » .

وإذا كانت الصفحة الأولى من المحاكمة قد طويت ، فقد فتحت
 الصفحة الأخرى وهي صفحة محاكمة محمد فريد .

تمت الاجراءات التى عرضناها ، وحكم فى القضية فى غياب
 أحد متهميها وهو ، محمد فريد ، ولذلك أرجأت سلطة التحقيق اجراء
 محاكمته عندما يحضر الى مصر لأنهم رأوا أن فى الحكم عليه غيابيا حافزا
 له لعدم العودة ، وهو أمر لم تكن السلطة فى مصر راغبة فيه .

ولم كثر اللغط فى حقه ككتب اليه احدى بناته فى ١٤ أغسطس
 ١٩٩١٠ تطلب اليه أن يحضر ويحاكم وليظهر رأييه أمام الناس ويقطع
 الألسن التى تناولت موقفه بالنقد « ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثل
 ما حكموا به على الشيخ جاويش فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هزبتم
 وما تحملتم الهوان فى سبيل وطنكم » . وأختم جاويش بالقول اليكم
 باسم الوطنية والحرية التى تغفون كل عزيز فى سبيل نصرتها أن
 تعودوا وتتحملوا آلام السجن » (٥٨) .

(٥٨) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد رمز الوطنية ، القاهرة ١٩٦٢ ،
 ص ٢٥٧ .

استجاب محمد فريد لوطنيته وتوسلات ابنته وعاد الى مصر وسرعان ما ألقى القبض عليه وسيق الى التحقيق حيث قرر أنه كخب مقدمته لكتاب وطنيتي دون أن يطلع على محتوياته وقبل أن يتم على الفايناني كتابته وأنه سلمها اليه في فبراير ١٩١٠ أي قبل أعداد الكتاب للطبع لأنه سافر الى أوروبا في ٥ مايو وظهر الكتاب بعد ذلك ١٩١٠.

وتبلور التحقيق عن اتهام محمد فريد بالآتي:

حسن كتاب « وطنيتي » الذي طبع ونشر من ٢٤ يولية الى ١٠ يولية ١٩١٠ ، والذي هو في حد ذاته يشتمل على جملة أمور معاقب عليها قانونا ، وذلك بأن امتدح الكتاب المذكور بمقدمته فيه باضائه تحت عنوان « تأثير الشعب في تربية الأمم » وهذه الأمور هي تحويل الناس على كراهية الحكومة والازدراء بها والعيب في حق ذات ولي الأمر وتحسين جريمتي دنجرا (٦٠) والورداني واهانة ناظر الحقائق بصفته موظفا عموميا ، وبسبب وظيفته ، وتحسين جريمة الشيخ جاونيس الذي حكم عليه من أجلها (٦١) وحدد لنظر الجلسة يوم ٢٢ يناير ١٩١١.

وشكلت هيئة المحاكمة برئاسة المستر دلبروجلي وعضوية كل من أحمد بك ذو الفقار وأمين بك علي ومثل النيابة توفيق بك نسيم .

وقد أحضر محمد فريد مقبوضا عليه بدون محام ، ولما سئل عن التهمة الموجهة اليه نفاهها مدلا على ذلك بعدم وجوده عند ظهور

(٥٩) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .
(٦٠) كان دنجرا طالب هندي يتعلم في إنجلترا وكان من حزب الأحرار الهندائيين من الهنود يكره الاحتلال البريطاني لبلاده ، وانتهاز فرصة وجود السير كيرزون ويلي في حفلة أقيمت في فندق دي أبير انيستيتوت بلندن في يولية ١٩٠٩ وقتله — ثم حوكم بسرعة حيث قضى بأعدامه ونفذ الإعدام في ١٧ أغسطس ١٩٠٩ .

أما الورداني فهو الذي اغتال بطرس غالي باشا رئيس مجلس النظار في عام ١٩١٠ .

(٦١) المؤيد ٢٤ يناير ١٩١١ .

الكتاب « وهي كمقالة يصح أن تنشر في جريدة كما تكون مقدمة لكتاب ، وإذا كانت المحكمة ترى محاكمتي فلها رأيها » وأضاف « أنا لم أحسن أو أقرظ وإنما كتبت مقدمة لكتاب وأن سمكوت الحكومة عوقبت نشره بالجزائري جعلني أقرظه بدون لكتراش والدنوب على الحكومة التي تركته ينشر أولاً في الصحف » (٦٢) .

وترافع ممثل النيابة قائلاً : « فصل القضاء في موضوع كتاب وطنيتي وقضى بتأنييم واضيعه ومن أطراء وحسن موضوعاته . . . ولم يبق أمامنا سوى تقرير مسؤولية صاحبة المقالة الأولى التي ردت في الكتاب المذكور تحت عنوان « تأثير الشعر في تربية الأمم » . . . لماذا يكون احسن الشعر ما يحض على القتال ، ولا يكون ذلك الخيال الذي يرى به الانسان الطبيعية بجمالها وينظم ويقال في المواضع الشريفة ليتثقيف العقول وتهذيب النفوس ، لماذا تكون تربية الأمم بالشعر الحماسي ولا تكون بالشعر الذي يحض على نشر العلم ورفع الجهل . . . بل لماذا لا يكون مدح الامراء والوزراء بمنزلة القول الهجو » (٦٣) .

ورغم دفاع محمد فريد فقد انتهت المحكمة الى أنه كتب مقدمته وهو عالم بما سيجمع الغاياتي وأن تأخر طبع الكتاب فلا تأثير له في ثبوت التهمة في حقه ، وبأن استبعدت التصور بأنه لم يطلع على ما جمعه الغاياتي في كتابه « خصصا السابق نشره في جريدة اللواء ، وما انفرت من أجله ، سيما وأن مركزه وما له من الاشراف لا يتصور معه عدم اطلاعه على ما ينشر في جريدة تخص الحزب » (٦٤) .

وما لبثت المحكمة أن أصدرت ضده الحكم المتصدر لهذه الدراسة .

(٦٢) المؤيد ٢٣ يناير ١٩١١ .

(٦٣) المرجع نفسه .

(٦٤) من حيثات الحكم المنشورة في المؤيد بتاريخ ٢٤ يناير ١٩١١ .

صدي هذه المحاكمة :

قوبل الحكم في هذه القضية بالسخط وعمت الدهشة انصار محمد فريد في الحزب الوطني ، وساد بينهم رأى أن ما حدث كان للتكيد بقيادة الحزب ، والقاء الرعب والفرع في نفوس أعضائه ، ولينصرف الناس عنه تفاديا لمثل ما وقع .

ونعرض كذلك لموقف الصحف من هوالية وخضبطة ، وللعجب أن المؤيد التزمت نفس موقفها السابق ، فلا يقلق سوى كلمات انتهت بها سطور الحكم لدى نشره « ونحن نأسف أشد الأسف على صدور هذا الحكم الذى نعتبره شديدا عما كان ينتظر لهذه القضية » (٦٥) . وهنا يتأكد رأينا فى موقفها ، فلحزبها من السلطة مكنت تعارف حدود ما سيحكم به نهاية لما سبق ان حكمته للحزب من شركاء ، ولكن المحكمة زادت فى تقديرها ، وسكت المؤيد بعد ذلك وكأنما كل دىخفى فرجة النصر .

وقد علقت العلم فى مقال لامين الراعى بعنوان « هناك أجماع على الاستياء » .

« هناك أجماع على الاستياء .. أجماع على أن الحكم صارم .. أجماع على أنه اذا كان لابد من الحكم فكان إيقاف التنفيذ واجبا ، أجماع على الدهشة من التفاوت فى الاحكام فى قضية واحدة ولنهمة واحدة » (٦٦) وهو قول رجل له درايته بالقانون وأقرب الى المعقولة ، ولكن الفكرة المسيطرة هى ضرب رؤوس الحزب للتبديد البقية .

وقد تصدى امين الراعى كثيرا لهذه القضية ، فتصدى للقوى المتحالفة ضد تيار الوطنية آنذاك فى مقالة بعنوان « انزلوا بنا ما شئتم من الشدة » (٦٧) .

١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣

١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣

(٦٥) المؤيد ٢٣ يناير ١٩١١ .

(٦٦) العلم ٢٧ يناير ١٩١١ .

(٦٧) العلم ٢٤ يناير ١٩١١ .

أما محمد فريد فقد نشر مقالا بعنوان « من سجن الى سجن » كشف فيه مؤامرة المتآمرين عليه « مضى على ستة أشهر فى غيابات السجن ولم أشعر بالضيق إلا عند اقتراب أجل خروجى لعلنى اخرج الى سجن آخر هو سجن الأمة المصرية ، الذى تحده سلطة الفرد ويحرسه الاحتلال نظره أعداء حزبنا الوطنى وخشى محبوبنا أن يكون للنجس هذا أقل تأثير فى سير الحزب وانتشار مبادئه الحقبة بين طبقات الشعب ووصولها الى أعماق قلوبهم ، ولكن الله الحمد فقدم برهن حزبنا أثناء اعتقالى بين جدران هذا السجن على أنه حزب الوطن ، حزب الشعب لا يؤثر موت رئيس » (٦٨) .

ومن الغريب أن هذه القضية لم تأخذ مساحة واضحة فى مذكرات محمد فريد ، فيذكرها عندما يذكر جاویش وموقفه منه فقال « وفى ١٩١٠ حبس ثلاثة أشهر أخرى لقدمة كتاب الفاياتى التى حبست أنا من أجلها ستة شهور فى ١٩١١ من ٢٣ يناير الى ١٨ يولية » (٦٩) .

ولقد عرض عليه الخديو وهو فى سجنه رتبة الميرميران ورئاسة الوزارة ان شاء ، على أن يعتذر له عن بعض ما أورده عنه فى مقالاته التى كتبها فرفض (٧٠) .

وهكذا سارت قضية كتاب « وطنيتى » : صدرت الأحكام ونفذت ولكن لم تصل يد السلطة الى المتهم الأول الذى ظل طليقا فى أوروبا الى أن سقط الحكم ضده وعاد ادراجه ليؤسس جريدة « منبر الشرق » لتحمل فى أول أعدادها اعلانا عن كتاب « وطنيتى » فى طبعته الجديدة على النحو التالى فى عام ١٩٣٨ :

(٦٨) العلم ١٩ يولية ١٩١١ .

(٦٩) مذكرات محد فريد ك ٢ ص ٤٦ .

(٧٠) منبر الشرق ٦ مايو ١٩٣٨ (من ذكريات الماضى) لمحمد لطفى

١٩٦١ - ٢٠٠٠

جمعة .

« وطنيتى »

أحدث ظهور كتاب « وطنيتى » عام ١٩١٠ ضجة كبيرة فى مصر وقد ضودر وبلغ ثمن النسخة منه جنيتها ، وحوكم صاحبه بعد أن غير سرا الى الخارج وحكم عليه غاييا بالحبس سنة ، وها هو قد عاد الى وطنه أخيرا ، وبادر بطبع ديوانه طبعة ثانية بعد مرور ثمانية وعشرين عاما على الطبعة الأولى ، ويطلب هذا الكتاب من ادارة منبر الشرق ومن المكاتب الشهيرة بالقاهرة وثمانية عشرة قروش ، وهو يرسل هدية لكل مشترك جديد فى هذه الجريدة » (٧١) •

المراجع :

Report by his Majesty,s Agent and Consul general on finance' administration and general condition, 1908.

- أحمد شفيق : مذكراتي فى نصف قرن ، القاهرة ١٩٣٦ •
- صبرى أبو المجد : محمد فريد ، ذكريات ومذكرات ، الهلال أكتوبر ١٩٦٩ •
- عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد ، رمز الوطنية ، القاهرة ١٩٦٢ •
- على عبد الرشيد : سيرة وحياة على الغاياتى ، القاهرة ١٩٨١ •
- على الغاياتى : وطنيتى ، القاهرة ١٩٤٧ •
- يونان لبيب رزق (دكتور) : أثر قانون المطبوعات فى الحركة الوطنية ، دراسة فى المجلة التاريخية ١٩٦٦ •

الصحف :

الاهرام
البلاغ المصرى
العلم
اللىواء
المقطم
منبر الشرق
المؤيد

La Dépêche.